بسم الله الرحمن الرحيم

١٠٤ — سُورَة الهُمَزة

مكية ، وآيها تسع .

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١] (وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ)

[٢] (ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ)

[٣] (يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ)

« وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ » أى لكل من يطعن فى أعراض الناس ويغتابهم . أصله من الهمز بمعنى الكسر ، ومن اللمز بمعنى الطعن ، الحقيقيين . ثم استعيرا لذلك . ثم صارا حقيقة عرفية فيه . قال زياد الأعجم[١] :

تُدْلِى بوُدِّى إذا لاقيتَنى كذباً وإن أُغَيَّبْ فأنت الهامزُ اللُّمَزَهْ

وبناء (فُعَلَة) يدل على أن ذلك عادة منه قد ضَرِىَ بها ، لأنه من صيغ المبالغة . والآية عنى بها من كان مع المشركين بمكة ، همازاً لمازاً . كما فى قوله[٢] (إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ * وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ . .) الآيات ، وقوله[٣] (هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ . .) الآيات ، فالسبب ، وإن يكن خاصًّا ، إلا أن الوعيد عام ، يتناول كل من باشر ذلك القبيح . وسر وروده عامًّا ، ليكون جارياً مجرى التعريض بالوارد فيه ، فإن ذلك أزجر له وأنكى فيه .

« ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ » أى أحصى عدده ولم ينفقه فى وجوه البر .

قال الإمام: أى أن الذى يحمله على الحط من أقدار الناس ، هو جمعه المال وتعديده . أى عده مرة بعد أخرى ، شغفاً به وتلذذًا بإحصائه . لأنه لا يرى عزًّا ولا شرفاً ولا مجداً فى سواه .

(١) انظر الصفحة رقم ٤٧٥ من إصلاح المنطق لابن السكيت .

(٢) [٨٣ / المطففين / ٢٩و٣٠] . (٣) [٦٨ / القلم / ١١] .

فكلما نظر إلى كثرة ما عنده منه ، انتفخ وظن أنه من رفعة المكانة ، بحيث يكون كل ذى فضل ومزية دونه . فهو يهزأ به ويهمزه ويلمزه . ثم لا يخشى أن تصيبه عقوبة على الهمز واللمز وتمزيق العرض . لأن غروره بالمال أنساه الموت وصرف عنه ذكر المآل فهو « يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ » أى يظن أن ماله الذى جمعه وأحصاه ، وبخل بإنفاقه ، مخلده فى الدنيا ، فزيل عنه الموت .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٤] (كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ)

[٥] (وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ)

[٦] (نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ)

[٧] (ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ)

[٨] (إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ)

[٩] (فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ)

« كَلَّا » أى فليرتدع عن هذا الحسبان ، فإن الأمر ليس كما ظن . بل لابد أن يفارق هذه الحياة إلى حياة أخرى يعاقب فيها على ما كسب من سيئ الأعمال ، كما قال « لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ » أى ليلقين وليقذفن يوم القيامة فى النار التى من شأنها أن تحطم كل مايلقى فيها. أى تكسره ، وكلمة (لينبذ) تفيد التحقير والتصغير « وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ » استفهام عنها لتهويل أمرها . كأنها ليست من الأمور التى تدركها العقول « نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ » أى هى النار التى لاتنسب إلا إليه سبحانه ، لأنه هو مُنشِئُها فى عالم لايعلمه سواه .

قال أبوالسعود : وفى إضافتها إليه سبحانه، ووصفها بالإيقاد، من تهويل أمرها مالامزيد عليه « ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ » قال ابن جرير[1]: أى التى يطلع ألمها ووجعها على القلوب.

(١) انظر الصفحة رقم ٢٩٤ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبى الثانية) .

والاطلاع والبلوغ قد يكونان بمعنى . حكى عن العرب سماعا (مَتَى طَلَعْتَ أرضَنَا) . و (طلعتُ أرضى) بلغتُ .

وقال الزمخشرىّ : يعنى أنها تدخل فى أجوافهم حتى تصل إلى صدورهم وتطلع على أفئدتهم، وهى أوساط القلوب . ولاشىء فى بدن الانسان ألطف من الفؤاد، ولا أشد تألماً منه بأدنى أذى يمسه . فكيف إذا اطلعت عليه نار جهنم واستولت عليه !! ويجوز أن يخص الأفئدة لأنها مواطن الكفر والعقائد الفاسدة والنيات الخبيثة . أو تطالع ، على سبيل المجاز معادن موجبها « إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ » أى مغلقة مطبقة لاخلص لهم منها « فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ »صفة لمؤصدة، أوحال من الضمير المجرور. وإلى الوجهين أشار الزمخشرىّ بقوله: والمعنى أنه يؤكد يأسهم من الخروج ، وتيقنهم بحبس الأبد ، فتؤصد عليهم الأبواب ، وتمدد على العمد ، استيثاقاً فى استيثاق . ويجوز أن يكون المعنى أنها عليهم مؤصدة ، موثقين فى عمد ممددة ، مثل المقاطر التى تقطر فيها اللصوص .

و (المقاطر) جمع (مقطرة) بالفتح ، وهى جذع كبير فيه خروق يوضع فيها أرجل المحبوسين من اللصوص ونحوهم (وتقطر) أى يجعل كلٌّ بجنب آخر و (عمد) قرئ بضم العين والميم وفتحهما .

قال ابن جرير[1]: وهما قراءتان معروفتان ، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء . ولغتان صحيحتان . والعرب تجمع العمود عُمُداً وعَمَدا ، بضم الحرفين وفتحهما ، كما تفعل فى جمع إهاب تجمعه أُهُبا وأَهَبا .

تنبيه

قال القاشانىّ فى بيان آفات رذيلتى الهمز واللمز اللتين نزلت فى وعيدهما السورة ، ما مثاله : الهمز أى الكسر من أعراض الناس واللمز أى الطعن فيهم ، رذيلتان مركبتان من الجهل والغضب والكبر . لأنهما يتضمنان الإيذاء وطلب الترفع على الناس . وصاحبهما يريد أن

(١) انظر الصفحة رقم ٢٩٥ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبىّ الثانية) .

يتفضل على الناس ، ولا يجد فى نفسه فضيلة يترفع بها . فينسب العيب والرذيلة إليهم ، ليظهر فضله عليهم . ولا يشعر أن ذلك عين الرذيلة . فهو مخدوع من نفسه وشيطانه موصوف برذيلتى القوة النطقية والغضبية .

ثم قال : وفى قوله تعالى (وَعَدَّدَهُۥ) إشارة أيضاً إلى الجهل . لأن الذى جعل المال عدة للنوائب ، لايعلم أن نفس ذلك المال يجر إليه النوائب . لاقتضاء حكمة الله تفريقه فى النائبات ، فكيف يدفعها ؟ وكذا فى قوله (يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ) أى لا يشعر أن المقتنيات المخلدة لصاحبها هى العلوم والفضائل النفسانية الباقية ، لا العروض والذخائر الجسمانية الفانية . ولكنه مخدوع بطول الأمل ، مغرور بشيطان الوهم عن بغتة الأجل . والحاصل أن الجهل الذى هو رذيلة القوة الملكية ، أصل جميع الرذائل ، ومستلزم لها . فلا جرم أنه يستحق صاحبه المغمور فيها ، العذاب الأبدىّ المستولى على القلب المبطل لجوهره .